لقاء قناة الفرات بالدكتور إبراهيم الجعفري
بتاريخ 2009/10/17
(الائتلاف الوطني العراقي والعملية السياسية)

المقدم: اليوم اسم الدكتور الجعفري وبقية رموز الائتلاف الوطني تشكل أهم أحاديث الساعة والساحة العراقية.. هذه القوى التي تشكل الائتلاف الوطني ربما كانت تتباعد في وجهات نظرها.. هل وجود هذه القوى المتعددة سيكون عامل تماسّ ووحدة للائتلاف أم مؤشر ضعف وتشضٍّ؟

الجعفري: مما لاشك فيه أن القائمة التي تنفتح على أكبر عدد ممكن من الرموز والشخصيات والكيانات تمضي بالعملية السياسية بخطوط متوازية تعكس آمال الشعب العراقي وطموحاته ومدى انسجام قواعدها الجماهيرية في داخل مركب الشعب العراقي في الوقت نفسه توجه الشارع بهذا الاتجاه، فنحن نعبّر عن حقيقة، ونصنع حقيقة في آن واحد.
الائتلاف الجديد ضم مجموعة من الشخصيات إذا كانت في وقت ما متباعدة فأنا أعتقد أنها عادت إلى الأصل، فالأصل أنها ليست متباعدة، ولم تكن بتلك المسافات المتباعدة وكذلك حتى مع القوى الأخرى خارج قائمة الائتلاف الوطني أنا لا أتصور أن هذه المسافات مسافات فكر ومبادئ وقيم وأهداف بقدر ما تكون مسافات موضوعية تعكس وجهات نظر واجتهادات.. وهذه رسالة إلى الشعب العراقي بأن هذه الرموز قطعت تلك المرحلة، ودخلت مرحلة هي الآن أقرب من بعضها البعض، وهذا من دون شك سيلقى مردودات طيبة وإيجابية لدى أبناء الشعب العراقي.

المقدم: لديكم تجربة سابقة في الائتلاف الوطني الموحّد، وغادرتم هذا الائتلاف، وشكلتم الائتلاف الوطني، ما الفرق بين الائتلافين، وهل الفرق في التسمية، أم إن كلمة (الوطني) تعني أن الائتلاف السابق كان غير وطني، وما هو معيار الوطنية؟

الجعفري: هناك فرق بكل تأكيد.. ليس في الاسم إنما في المسمَّى والمضامين، وقد عكف الإخوة المعنيون بالائتلاف الوطني العراقي الحالي على دراسة التجربة السابقة، ودرسوها دراسة متأنية مفصّلة وكانت جريئة، وأنا في تقديري كل مراجعة تكشف النقاب عن نقاط الخلل، وبالفعل كشفت عن نقاط خلل كثيرة تشمل كل الأطراف التي أسهمت في الائتلاف السابق سواء كان في البنيوية والهيكلية وتحديد الأسماء وتحديد التراتبية سواء كان في داخل ورقة عمل الائتلاف وكيفية التعامل في الآفاق المتعددة أفق الائتلاف وأفق الحكومة وأفق البرلمان وأفق الشعب العراقي وأفق الوضع الدولي وأفق الوضع الإقليمي.. هذه كانت غائبة كنظرية ومنهج عمل.

على هذا الأساس خرج بهذا الاسم وهو ليس متناقضا ومحارباً لتأريخه إنما مرتحل من مرحلة كانت البداية إلى مرحلة جديدة هي على الأقل مرحلة نضج نسبي مقارنة بما كان عليه سابقاً.

المقدم: ألا يؤدي تعدد القوائم إلى انقسامات في المواقف والآراء، وهذا قد يضر وحدة الموقف وتلاحم الشعب؟

الجعفري: يجب أن نفوّت الفرصة على من يريد أن يصدع الصف الوطني، فالوطنية ليست شعاراً إنما هي أداء ونمطية عمل وسلوك وثقافة؛ وإذا لم نستطع الخروج بقائمة واحدة فلا أقلّ أن نحفظ الصف الوطني، ونبحث عن المشتركات، ونتكامل مع بعضنا، ونصارح الشعب فيما نختلف عليه، وقد نختلف، لكن هناك شيء من مساحة واسعة جداً نتفق عليها، فلا يحول دون أن نعي المشترك بيننا وبين إخواننا في القوائم الأخرى.

المقدم: قد يقال: إن أداء الحركة الإسلامية شهد انشطارات عدة، وهناك أحزاب إسلامية عريقة تحولت إلى أحزاب عدة بينما لدينا تجربة في الولايات المتحدة الأميركية فالحزبان الجمهوري والديمقراطي الأميركيان لم ينشقا إلى هذه الساعة منذ قرن من الزمن.. لماذا هذه الانشقاقات أو الانشطارات؟

الجعفري: تلك الأحزاب لها أجواؤها ولها ظروفها وعندما بدأت تحديداً بعد الاستقلال عام 1783 تتبلور، وتتطور على مرّ الزمن في الوقت نفسه تتمتع بتجربة سياسية واسعة.. أعتقد أنه مع حفظ الهوية الوطنية والمبادئ والقيم لكل الكيانات يجب أن نتقبل عالماً جديداً اسمه عالم التعدد، والتعدد ظاهرة صحة وليس ظاهرة ضعف، بشرط أن تكون العوامل المتحكمة هي القيم والأهداف والمبادئ وخدمة الوطن والوطنية.

المقدم: هل الدكتور الجعفري مع القائمة المفتوحة والدوائر المتعددة، وماذا بشأن تأجيل الانتخابات، ولماذا التأكيد على إجراء الانتخابات في موعدها المقرر؟

الجعفري: أنا مع القائمة المفتوحة ومنذ زمن وأنا أعبّر عن وجهة نظري، ومتمسك بها، وأعمل مع القائمة المفتوحة والسبب في ذلك هو إننا نجعل أبناء شعبنا أمام حالة منفتحة يختارون الأعضاء مباشرة ليس من خلال رمز، وقد يلعب الرمز دوراً لكن لا أن يكون النظر إلى بقية أفراد القائمة من خلال العنوان والرمز؛ فهذا يؤدي إلى حالة في البرلمان تنعكس بشكل سلبي؛ لأنك ستجد نفسك أمام

مجموعة رموز ولست أمام جميع أعضاء البرلمان، فحين يختار الشعب أفراداً في القائمة المفتوحة سيشعر كل فرد بأن الشعب اختاره، أما عندما يأتي من خلال رمز فمعنى ذلك أنه ينصاع، ويستجيب، ويتفاعل بحدود الرمز؛ لذا من عيوب البرلمان هو الحالة الرمزية التي تختزل حجم البرلمان برموزه.. هذا أضعف من عمل البرلمان؛ لذا أؤيد مبادرة سماحة السيد السيستاني (حفظه الله) عندما عبّر عن وجهة نظره في هذه القضية، وأعتقد أن هذه تعبير أمين عن صحة هذه التجربة كحالة معرفية وتعبير أمين عن رغبة الشعب العراقي كحالة مجتمعية، وهو عين الحكمة.. هذا ما يتعلق بالقائمة المفتوحة، أما أن تكون متعددة أو تكون واحدة فأنا مع القائمة المتعددة والسبب في ذلك هو أننا يجب أن نتوازن في إيجاد برلمان عراقي يمثل بعمومه عموم الشعب العراقي، ويحفظ خصوصيات المحافظة في كل محافظة، فقد غابت العديد من المحافظات عن البرلمان؛ مما أدى من دون قصد إلى عدم تكافؤ الفرص بين المحافظات، بينما جعل الدوائر متعددة من شأنه أن يتيح فرصاً متكافئة أمام الشخصيات والرموز التي تمثل المدن المتعددة، وهذا في تقديري يكون أفضل وأحسن.

المقدم: بخصوص تأجيل الانتخابات.. هل أنتم مع إجرائها في موعدها المقرر، ولماذا التأكيد؟

الجعفري: أنا لست مع تأجيل أي شيء محدد بموعد مسبق ما لم يكن هناك مبرّر موضوعي.. في الحكومة الانتقالية عام 2005عُرِض عليّ تأجيل الانتخابات ستة أشهر، وأنه حق دستوريّ، وقد اتصل بي في وقتها كوفي عنان فقلت له: لا أوجل، سأعمل من أجل أن تكون الانتخابات في موعدها المقرر، وفعلاً جرت في موعدها المقرر، كما تعلم أن عام 2005 كان عام الانتخابات، وأتصور أن الالتزام بالمواعيد يعزز الثقة بين الشعب وبين الحكومة، ويُثبت قدرة الأخيرة على تذليل كل العقبات.
لنقلب السؤال: هل هناك داعٍ للتأجيل؟
الأصل عدم التأجيل، فلماذا لا نلتزم، ونحن قد وضعنا موعداً، في تقديري يجب أن نبذل جهدنا، ونتعاون مع المعنيين لإنجاز عملية الانتخابات في موعدها المقرر.

المقدم: بالتأكيد هناك ملاحظات وتحفّظات حول أداء المفوضية المستقلة للانتخابات.. هل هناك خلل في أدائها؟

الجعفري: في الانتخابات السابقة وردت إشكالات كثيرة جداً على عمل المفوضية، ولا أقصد بذلك استهداف اللجنة كشخصية معنوية، ولا أشخاصاً فيها، لكن هناك ظواهر مَرَضية علقت في أدائهم خلال تلك الفترة، وكانت ملاحظات كثيرة

جداً ليس سراً على أحد، ففي الكثير من المناطق كان يذهب المواطن للتصويت، ولا يجد فيه اسمه وبعضهم مسؤولون ومعروفون في دوائر الإعلام، وقد تحدّثوا في شاشات التلفزيون، وظهروا على قناة العراقية (القناة الرسمية في العراق)، وأنا ممن قال لي أحد الإخوان: أنه ذهب ولم يجد اسمه، فلم يستطع التصويت، لماذا؟ وبعضهم يجد اسمه في أماكن أخرى، وبعض الناس اضطروا لترك منطقتهم والذهاب إلى منطقة أخرى؛ لأن المفوضية لم تواكبها، ولم تحفظ حقها الطبيعي.
نحن نتطلع لأن نُجري الانتخابات خارج أرض العراق للمواطنين العراقيين، ونمتد لهم وهم في الخارج؛ حتى نحفظ الوطنية العراقية، فكيف إذا كان انتقال مواطن من محافظة إلى أخرى أو من قضاء إلى آخر لا يجد اسمه، ولا يمكنه التصويت.

المقدم: ظاهرة الاستجوابات في مجلس النواب هناك من يريد تصعيد الاستجواب لأغراض سياسية، وهناك من يريد أن يعرقل الاستجواب لأغراض سياسية أو استقطابية، هل نمنع الاستجواب من أجل ان لا نقع في هذا الإشكال، أليس هذه العرقلة تعطيلاً للدور الرقابي للبرلمان؟

الجعفري: في أول خطاب لي بالبرلمان بعد انتهاء فترة رئاسة الوزراء، قلت: أرجو أن لا يكون البرلمان خندقاً مقابل آخر ومترصداً بالآخرين، إنما يجب أن يمارس دوره الرقابي بشكل دقيق وأمين، وأن لا يشعر أن رئاسة الوزراء خندق مقابل خندقه، والآن ألحظ أن هناك نعرتين نعرة ترصّدية ونعرة تشكيكية، نعرة ترصدية بأن تُفهَم الملاحظة على أنها محاولة للإساءة للآخر كتصفية للحسابات وهذا يقلل من هذه المهمة الكريمة النزيهة، والنعرة التشكيكية بوصف بعض الأعمال والإنجازات بأنها دعاية انتخابية وكأن قائلها دخل في عالم النية.
تاريخ الوطنيين العراقيين يعود إلى مواجهة الدكتاتورية التي ما شهد العالم مثلها، فليكن رائدنا ومحور حركتنا هو المرتكز الوطني، لا المرتكز الانتمائي الحزبي أو الجبهوي.

المقدم: إذا كانت التهمة جاهزة للغرض الانتخابي فأي مشروع أو نشاط أو دور رقابي سيتعرقل أو يتوقف خوفاً من أن يُتهَم بالحملة الانتخابية؟

الجعفري: اختزال النقد بأنه حملة انتخابية يُعتبَر تعسُّفاً، ولنفترض جدلاً أنه يدخل في إطار المنافسة الانتخابية فهذا عمل مشروع ولكل مرشح الحق في أن يبرز إنجازاته، ويبرّر أخطاءه.

المقدم: الانتخابات معركة، لكنها معركة ديمقراطية اعتبارية قد تُستخدَم فيها الأسلحة المحظورة والمحرّمة، وربما تُستخدَم ضدكم أسلحة الدمار المعنوي من تسقيط وتشويه.. هل تكتفون بارتداء الأقنعة لمنع هذه الأسلحة، أم لديكم موقف بالمثل، أو أخلاق تكون حاكمة في طبيعة التنافس؟

الجعفري: أنا لا أسمّي العملية الانتخابية معركة، ولا أسمّيها صراعاً، ولا حرباً إنما أسمّيها بالمصطلح القرآني (منافسة) وكلمة منافسة، تعني التحاق الإنسان بالفاضل من دون إحداث ضرر به، فمثلاً: حين أرى أنك متقدم عليّ بشيء ما، وأريد أن أنافسك أحاول تمثلك وتقليدك ومن حقي أن أسبقك من دون أن أحدث بك ضرراً؛ حتى أحقق هذا الفارق يجب أن أطوّر قابلياتي حتى أفوقك، لا أن أعرقلك، وأضرك، وأسيء إليك حتى تظهر أضعف مني، وليس القصد بالمنافسة وتحقيق الفوز هو أن تكون أضعف مني، إنما القصد أن أكون أقوى منك، وأنت تبادلني الشعور نفسه.

فحين يتقدّم الجيد علينا أن لا نضع العصى بعجلة حركته ونسقطه، هذا محرّم دينياً، ومحرم منهجياً واجتماعياً.

ثقافة الناس اليوم اختلفت عن ثقافة الأعوام 2003 و2004 و2005 وكلما اطرد الزمن تحوّل من المخزون النظري إلى الجانب العملي، فبدأ الناس يسألون عن التجربة، ومدى مطابقة الشعارات للواقع، وهل كان هناك فساد عند المرشح؟ هل كان كفوءاً؟ وهل هو طائفي؟ في ضوء ذلك ينبغي على المرشح أن يبرز ما أنجزه..

كما أن الأصل هو عدم استخدام الأساليب غير المشروعة فضلاً عن أنها غير شرعية لعمل مبارك وكريم وهو التنافس على فعل الخير، ولا ينبغي لإنسان أن يبدأ بسوء لكن إذا تعرّض للسوء عندئذٍ فقد وضع له القرآن الكريم آلية، وهي:

((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم))

هذا استثناء عندما يوجه لك السوء، وتكون مظلوماً عليك أن تدافع عن نفسك.. آمل أن يشهد الموسم الانتخابي المقبل حفلاً حقيقياً ومباريات حقيقية ومظاهرة حقيقية في إطار القيم وحب الوطن، والدول التي سبقتنا في مضمار الديمقراطية لم تسبقنا في المضمار القيمي.

المقدم: طرحتم قضية مهمة في مفهوم التنافس وهو التنافس القرآني الذي نتمنى أن يكون هو السائد، لكن هناك من يرى أن التنافس ليس بعرض الإنجازات إنما بالتعريض بالآخر، وكما ذكرتم أن يعرض إنجازاته لا أن يُعرّض بالآخر؟

الجعفري: أتوسم بالجميع أن يمتلكوا القيم نفسها سواء كانوا قادةً أم جماهير، فنحن بلد متعدد، ويجب أن نفكر بتحقيق النجاح في الميادين كافة، لا نغضّ الطرف عن وجود أكفاء ووطنيين في قوائم أخرى بحيث لا نختزل البلد في قائمتنا، ونبحث عن الكفوء، فساحة العمل مفتوحة لمن يبادر، والمجتمع هو الذي يختار طبقاً للمناهج والتجربة التي مضت.

المقدم: إذن التسابق هو لإرضاء الشعب لا تحريك الحسّ الطائفي لدى المواطن كما حصل في بداية الصراع؟

الجعفري: عندما نؤرّخ للخطاب الذي اعتمدناه منذ مرحلة المعارضة وبعدها يجب أن نسجّل الأسبقية بشرف فالسيد محمد باقر الصدر (قدس الله نفسه الزكية)، قال: (إني معك يا أخي وولدي السني وإني معك يا أخي وولدي الشيعي) هذه هي القراءة الوطنية منذ الثمانينيات، إذن الوطنية ليست شعاراً إنما هي إحساس وثقافة والتزام، يجب أن نعمّمها، ونتبانى عليها كما تبنيناها في المعارضة.
أشعر الآن أن الخطاب بدأ يتجه إلى الوحدة، ويسعى إلى سيادة العراق، وتداول السلطة بطريقة سلمية، والابتعاد عن التعصب الطائفي واستقلال العراق.